حركة نون النسوية

فريق البحث والتوثيق

حرب السودان وحكايات النساء

منذ اندلاع حرب الخامس عشر من أبريل في العاصمة الخرطوم وترامي امتدادتها لتشمل ولايات كردفان ودارفور وولاية الجزيرة وسنّار وبقاء شبحها محلّقًا حول الولايات الأخرى الآمنة، اعتمدت النساء على بعضهن البعض في مواجهة واقعهن الجديد لمشاركة مشاعرهن، خططهن، أحلامهن ولطلب النجاة.

علّمتنا الحرب أن النساء هن الأكثر شجاعةً، وأنهن من سيمددن طوق النجاة لأنهن دافعات الفاتورة الأثقل والأمر للحرب.

الاسترقاق الجنسي، الاختطاف، الاحتجاز والبيع وفي حالات أقل عنفا التجنيد، رفعت الحرب مستويات العنف المبني على النوع الاجتماعي في السودان لمستويات غير مسبوقة، ولعبت العولمة دورها في تدمير حق الضحايا/الناجيات في الخصوصية، مرةً أخرى ينتهكن هذه المرة لمناصرة موقف سياسي على آخر، تنتشر الفيديوهات والصور للأسف بأيدي المعتدين لتساهم في توثيق لحظات مدمرة في حيوات هولاء النساء، محاربةً لسردية المعتدين، ضحايا بالفعل أو ضحايا محتملات حبست الحرب النساء في سردية عاجزة لا تتفق مع واقعهن المقاوم والصامد.استعادةً لسرديات النساء، بدأنا التوثيق لفعلهن، لعملية غزل شباك النجاة.

التقينا ب 10 نساء، من الخرطوم، الجزيرة، ونهر النيل، كسلا، والبحر الأحمر، بعضهن لا يزلن داخل السودان ومنهن من غادرن، تعمل بعضهن بالاعتماد على العون الشعبي، بعضهن نشطن في التنظيمات القاعدية كلجان المقاومة وغرف الطوارئ وأخريات في منظمات محلية ودولية، حاورناهن لنتعلّم عن استجابتهن لسياق طوارئ الفعل منذ اندلاع الحرب قبل عام وما يزيد.

خلال النقاش مع النساء في غرف الطوارئ، لاحظنا أن ردة فعل النساء الأولى مع قيام الحرب كانت التساؤل: كيف نستطيع تقديم المساعدة ؟ واحدة من أصل عشر نساء كانت مُبادِرة بفكرة غرفة الطوارئ في منطقتها، تبين لاحقًا أن واحدة من المشاركات في نفس المنطقة بقيت داخل منطقة الحرب وعملت في نفس غرفة الطوارئ بعد فترة ولمدة أطول بالاعتماد على الهيكلة الأساسية التي وضعتها صاحبة المبادرة.

توفير العون الشعبي

انتبهت النساء لعدة جوانب تزداد فيها الحوجة مثل الخدمات المتعلقة بصحة النساء الجنسية والإنجابية، المعلومات عن مراكز تقديم خدمات الرعاية الصحية

واقرب المستشفيات التي تقدم خدمات الولادة ورعاية ما بعد الولادة ، توفر الادوية والصيدليات التي تعمل ومواقعها وتوفير الفوط الصحية في دور الإيواء والمدن المحاصرة. بالاضافة لحصر مصادر المياه وتكوين مجموعات لمراقبة توفير المواد الغذائية وتوزيعها حسب الحاجة.

الخوف المبرر

بالإضافة لمحدودية الموارد قالت الفاعلات أن التعامل مع أسرهن وتقبل الأسر لانخراطهن في فعل ما كان التحدي الأكبر، انطلاقاً من الخوف المبرر- حسب وصفهن- بأن العائلة دائماً ما تخشى على النساء، تخشى الأسر من العنف الجنسي الذي تم استخدامه بشكل ممنهج في حرب أبريل في السودان، تتفق المشاركات في النقاش على جملة قالتها احداهن على لسان اسرتها وهي تحاول اقناعها بالعدول عن المشاركة في نشاط خارج المنزل ب "ديل رجال ما بيحصل ليهم شي انتو بنات".

حاولت بعض النساء استخدام أسلوب الإقناع بتوضيح أهمية ما يقمن به، البعض الآخر استعن بأخ رجل للتواجد ضمن غرفة الطوارئ مع الإبقاء على الاهل أكثر اطمئنانًا، أخريات نزحن لولايات أكثر استقراراً أمنيًا وانخرطن ضمن المجموعات الفاعلة هناك، والبعض أخفين معلومة عملهن بالطوارئ من الأسرة لتفادي التحديات والعراقيل اليومية.

"لا أمان داخل المناطق الآمنة"

ترتبط بالتدوين المدفعي كمهدد لما يعرف بالمناطق الآمنة، تعرقل حركتهن كذلك الارتكازات الامنية التابعة للجيش السوداني واخرى تتبع لمليشيا الدعم السريع حسب مناطق السيطرة، والتي تستغرق زمن طويل مع التحقيق الذي يمكن أن ينعقد لساعات في أي لحظة وإن لم يحدث مع التفتيش الدوري المعتاد، اجترحت الفاعلات طرقهن الخاصة، تحدثنا احداهن عن استخدام "الدرداقات" عبر ازقة "الحلّة" لإيصال المواد التموينية.

وصفت معظمهن أسرهن بالداعمة، خصوصا الامهات اللاتي يقفن في وجه بقية رجال العائلة المعتقدين بوجوب حماية الفتيات في أوقات الحرب بابقائهن داخل المنزل .

تحديات أمنيّة

اتفقت الفاعلات على أن استخبارات الجيش وحكومة المحليات هي أكبر عائق أمام المجموعات المدنية وغرف الطوارئ وتصعب المشاركة في العمل القاعدي ، حيث قامت بعض لجان الطوارئ في الولايات بتجهيز المدارس لإيواء النازحين\ات والأطفال والاتفاق مع المستشفيات لتسهيل تقديم الخدمات وجمع التبرعات للمواد التموينية كاستجابة فورية إلا ان حكومة المحلية الغارقة في الفساد الإداري والمالي قامت باستخدام جهازها البيروقراطي (مفوضية العون الإنساني - هاك HAC) للسيطرة على التبرعات وتوجيهها ورفضت عمل أي مبادرة قاعدية غير مسجلة كمنظمة بصورة رسمية، وصعبت لحد كبير تسجيل المبادرات الجديدة ومنعت مقدمي الخدمات والعاملين في مجال العمل العام حتى الأطباء والمختصين النفسيين من دخول مدارس الإيواء إلا بتصاريح أمنية تصدر عن استخبارات الجيش كما منعت التجمعات والاحتجاجات.

جميع الفاعلات يستخدمن منصات وسائل التواصل الجتماعي "فيسبوك - تويتر وواتساب" ولكن مع انقطاع الانترنت المتكرر وانقطاع الاتصالات في بعض المناطق مع استمرار انقطاع تيار الكهرباء في بعض المناطق لما يقارب الست أشهر، كان الاعتماد على التشبيكات المحلية المشتركة بداية من المنطقة الجغرافية، ثم مع المبادرات في الولايات الأخرى، لتوفير خدمات

الرعاية الطبية وتوفير بروتوكول ما بعد الاغتصاب ، جمع المال لإجلاء العالقين/ات في مناطق الاشتباك حيث انها تتوسع رغم محاولات الجيش السوداني في اعادة فرض السيطرة وإعادة فتح المراكز الصحية بالتواصل مع المنظمات لتوفير الاحتياجات كالأدوية والاجهزة الطبية وتنسيق عمل مجموعات الدعم النفسي .

شاركن كذلك إحساسهن بالغربة عن عوالمهن الجديدة، الإحساس بعدم المقدرة على الاندماج رغم فقدان كل شيء سوى المسؤوليات.

حدثننا عن دراية بأهمية مخاطبة قضايا الصحة النفسية لدى الفاعلات/ين ولكن الاهتمام أو التركيز الحالي على قضايا مماثلة سيكون نوع من الرفاهية.

مع بداية عملنا على مشروع التوثيق لاختراقات الفاعلات تم قطع شبكات الاتصالات في فبراير 2024 وترك السودان وحيداً في مواجهة كارثة انسانية غير مسبوقة، جابهها بضراوة ابناءه وبناته داخل وخارج أرضه.

في هذه الفترة تعتقد الفاعلات وفريقنا للتوثيق أن النساء واجهن عتمة قاسية دون بصيص أمل للحكي أو لطلب المساعدة.

"أنا كويسة، لكن بفكر اموت روحي"

كانت هذه أول رسالة من احدى زميلاتنا في الفريق داخل منطقة صراع بعد انقطاع قارب على الشهر، مابين قلقنا على أسرنا وأصدقائنا، والهم العام بأحوال الجميع بلا استثناء. مع عودة الشبكات جزئيا، تفاجأنا بواقع أشد تعقيداً، عراقيل أمنية تمنع غرف الطوارئ من العمل ، فتيات يبحثن عن تدخل طارئ لإنهاء حمل نتيجة اغتصاب وأخريات شارفن على الولادة دون وصول لأي رعاية صحية لهن أو لأطفالهن، وأخبار من الذين لم تصلهم اخبار حرمتهم حتى من البكاء على ذويهم الذين رحلوا بغتةً .

استأنفنا عملنا لمواجهة الواقع المتغير باستمرار نحو الاسوأ، عملنا على خلق قواعد فعل من واقع الحرب لإيصال الأصوات وتوثيق التجارب لئلا تنسى تحت هدير المدافع، هنا نساء سودانيات يقاومن.